غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى

تشتمل غزوة بدر على أربعة عناصر رئيسية:

١- مرحلة ما قبل المعركة .

٢- فى قلب المعركة .

٣- ما بعد المعركة .

٤- النتائج والدروس المستفادة من المعركة .

أَوَّلاً : مَرْحَلَةُ مَا قُبَيْلَ المَعْرَكَة :

- سبب الغزوة:

بلغ المسلمين تحرك قافلة تجارية كبيرة من الشام تحمل أموالاً عظيمة لقريش تقدر بحوالى ٥٠ ألف دينار يقودها أبو سفيان بن حرب ويقوم على حراستها بين ثلاثين وأربعين رجلاً ، فأرسل رسول الله ﷺ بسبس بن عمرو ؛ لجمع المعلومات عن القافلة فلما عاد بسبس بالخبر اليقين ندب رسول الله ﷺ أصحابه للخروج وقال لهم: «**هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**» وكان خروجه من المدينة فى اليوم الثانى عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة ، ولم تكن نية رسول الله ﷺ قتالاً ، وإنما كان قصده عير قريش وكانت الحالة بين المسلمين وكفار مكة حالة حرب ، وفى الحرب تكون أموال العدو ودماؤهم مباحة وخاصة أن جزءًا من الأموال الموجودة فى القوافل القرشية ملك للمهاجرين المسلمين من أهل مكة قد استولى عليها المشركون ظلمًا وعدوانًا .

وقد تخلف كثير من الصحابة فى المدينة وهم يحسبون أن مضى رسول الله ﷺ فى هذا الوجه لن يعدو ما ألفوه فى السرايا والغزوات الماضية ، ولذلك لم ينكر على أحد تخلفه فى هذه الغزوة [1] .

قُوَّةُ الجَيْشِ الإِسْلاَمِيِّ وَتَوْزِيعُ القِيَادَاتِ :

واستعد رسول الله ﷺ للخروج معه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً (٣١٣ أو٣١٤ أو

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣ - ٤) ، الرحيق المختوم ١٩٠ .

٣١٧رجلاً) ، ٨٢ أو ٨٣ أو ٨٦ من المهاجرين و٦١من الأوس و١٧٠ من الخزرج . .

ولم يستعد لهذا الخروج استعدادًا بليغًا فلم يكن معهم إلا فرس أو فرسان ؛ فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الأسود الكندى ، وكان معهم سبعون بعيرًا يعتقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد ، وكان رسول الله ﷺوعلى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرًا واحدًا .

واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم كلثوم فلما كان بالروحاء ردَّ أبا لبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة ، ودفع لواء القيادة العامة إلى مصعب بن عمير وكان اللواء أبيض وقسم جيشه إلى كتيبتين:

١- كتيبة المهاجرينوأعطى رايتها على بن أبى طالب ويقال لها: العقاب .

٢- كتيبة الأنصار وأعطى رايتها سعد بن معاذ (وكانت الرايتان سوداوين) .

وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام ، وعلى الميسرة المقداد بن عمرو- الفارسين- وجعل على الساقة قيس بن أبى صعصعة ، وظلت القيادة العامة فى يده ﷺ كقائد أعلى الجيش [1] .

الجَيْشُ الإِسْلاَمِيُّ يَتَحَرَّكُ نَحْوَ بَدْرٍ:

وسار رسول الله ﷺفى هذا الجيش غير المتأهب فخرج من نقب المدينة ومضى على الطريق الرئيسى المؤدى إلى مكة ؛ حتى بلغ بئر الروحاء فلما ارتحل منها ترك طريق مكة إلى اليسار وانحرف ذات اليمين على النازية يريد بدرًا ومر على مضيق الصفراء وبالقرب من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى ، وعدى بن أبى الزغباء الجهنى إلى بدر يتحسسان له أخبار العير[2] .

حِرْصُ أَبِي سُفْيَانَ وَوُصُولُ رَسُولِهِ إِلَى مَكَّةَ:

بلغ أبا سفيان خبر مسير النبى ﷺبأصحابه من المدينة ؛ لاعتراض قافلته فبادر إلى تحويل مسارها إلى الطريق الساحلى ، وقد كان حذرًا يسأل عن أخبار المسلمين وعن تحركاتهم فقد تقدم إلى بدر بنفسه وسأل من كان هناك هل رأيتم من أحد؟ قالوا: لا ، إلا

---

(١) الرحيق المختوم ١٩٠ - ١٩١ .

(٢)الرحيق المختوم ١٩٠ - ١٩١ .

رجلين قال: أرونى مناخ ركابهما ، فأروه ، فأخذ البعر ففته فإذا هو فيه النوى فقال: هذا والله علائف يثرب فشعر بخطورة الموقف ، فأرسل عمرو بن ضمضم الغفارى الذى وصل إلى مكة ، وأخذ يصرخ ببطن الوادى واقفًا على بعيره وجدع أنف [١] بعيره ، وحول رحله وشق قميصه وهو ينادى بأعلى صوته: يا معشر قريش اللطيمة [٢] اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها الغوث . . الغوث [٣] .

اسْتِعْدَادُ أَهْلِ مَكَّةَ لِلْغَزْوِ:

تحفز الناس سراعًا فكانوا بين رجلين: إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبى لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة مقابل دين عليه ، وحشدوا من حولهم من قبائل العرب ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بنى عدى فلم يخرج منهم أحد [٤] .

قِوَامُ الجَيْشِ المَكِّيِّ:

كان قوام هذا الجيش نحو ألف وثلاثمائة مقاتل فى بداية سيره ، وكان معه مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة لا يعرف عددها بالضبط ، وكان قائده العام أبا جهل بن هشام وكان القائمون بتموينه تسعة رجال من أشراف قريش فكانوا ينحرون يومًا تسعًا ويومًا عشرًا من الإبل [٥] .

إِبْلِيسُ يُغْرِى قُرَيْشًا بِالخُرُوجِ:

لَمَّا أجمعت قريش المسير ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بكر من عداوة ؛ فكان ذلك يثنيهم فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك ، وكان من أشراف بنى كنانة فقال لهم: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعًا [٦] .

---

(١) جدع أنفه: القطع البائن في الأنف والأذن ونحوها .
(٢) اللطيمة: الإبل التي تحمل الطيب .
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٥ - ٦) .
(٤) ابن هشام (١ / ٣٧١) ، الرحيق المختوم ص ١٩١ .
(٥) الرحيق المختوم ص ١٩٢ .
(٦) ابن هشام (١ / ٣٧٢ - ٣٧٣) .

نَجَاةُ أَبِي سُفْيَانَ:

استطاع أبو سفيان النجاة بقافلته وأرسل إلى قريش طالبًا منهم العودة فقال أبو جهل ابن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، وكانت موسم من مواسم العرب - فنقيم عليه ثلاثًا فننحر الجزر [١] ونطعم الطعام ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان[٢] وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها فامضوا [٣].

هَمُّ الجَيْشِ المَكِّيِّ بِالرُّجُوعِ وَوُقُوعُ الانْشِقَاقِ فِيهِ:

ولما تلقى جيش مكة هذه الرسالة هم بالرجوع لولا مقولة أبى جهل إلا أن الأخنس ابن شريق حليف بنى زهرة رفض الاستمرار وعاد ببنى زهرة، وكانوا حوالى ثلاثمائة رجل، وأرادت بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع فسار الجيش وقوامه ألف مقاتل؛ حتى نزلوا بالعدوة القصوى على حدود وادى بدر [٤].

مُشَاوَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ لأَصْحَابِهِ:

لَمَّا بلغ النبى ﷺ نجاة القافلة وإصرار زعماء مكة على القتال استشار رسول الله ﷺ أصحابه فى الأمر، وأبدى بعضهم عدم ارتياحهم لمسألة المواجهة الحربية مع قريش؛ حيث إنهم لم يتوقعوا المواجهة ولم يستعدوا لها، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٥ - ٨].

أما قادة الجيش فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله ﷺ امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول

---

(١) الجزر: ما يذبح من الإبل.
(٢) القيان: الجواري المغنيات.
(٣) ابن هشام (١ / ٣٧٩ - ٣٨٠).
(٤) الرحيق المختوم ١٩٢ - ١٩٣ مختصرًا.

لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون؛ فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد [١] لجالدنا معك من دونه؛ حتى تبلغه فدعا له رسول الله ﷺ.

وبعد ذلك عاد رسول الله ﷺ فقال: «**أشيروا على أيها الناس**» وكان يريد الأنصار؛ لأنهم غالبية جنده، ولأن بيعة العقبة الثانية لم تكن فى ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول ﷺ خارج المدينة فأدرك الصحابى سعد بن معاذ مقصد النبى ﷺ من ذلك فنهض قائلا: والله يكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**أجل**» فقال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك؛ فامض يا رسول الله ﷺ لما أردت، فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك؛ ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا إنا لصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ عند اللقاء؛ لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك فَسِرْ على بركة الله.

فسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال: «**سيروا وأبشروا؛ فإن الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم**» [٢].

مُوَاصَلَةُ السَّيْرِ وَجَمْعُ المَعْلُومَاتِ عَنِ العَدُوِّ:

واصل رسول الله ﷺ سيره للقاء العدو، ونزل بالقرب من بدر، وهناك قام ﷺ بنفسه ومعه أبو بكر باستكشاف أحوال الجيش المكى، وبينما هما يتجولان فى تلك المنطقة لقيا شيخًا من العرب فسأله رسول الله ﷺ عن جيش قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه من أخبارهم فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبرانى مِمَّن أنتما؟ فقال له: رسول الله ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**» فقال: أو ذاك بذا؟ قال ﷺ: «**نعم**» فقال الشيخ: فإنه بلغنى أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا؛ فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به جيش المسلمين، وبلغنى أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذى فيه جيش المشركين

---

(١) برك الغماد: موضع بناحية اليمن، وقيل: مدينة بالحبشة.

(٢) ابن هشام (١ / ٣٧٥ - ٣٧٦)، السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٦ - ٨).

فعلاً ، ثم قال الشيخ: لقد أخبرتكما عما أردتما فأخبراني من أنتما؟ فقال رسول اللهﷺ وأبو بكر: «**نحن من ماء**»، ثم انصرف النبي وأبو بكر عن الشيخ وبقى هذا الشيخ يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ وفى مساء ذلك اليوم الذى خرج فيه رسول اللهﷺ وأبو بكر أرسل رسول اللهﷺ علي بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر ؛ لمعرفة أخبار عن جيش قريش[١] .

فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول اللهﷺ وهو فى الصلاة فاستخبرهما القوم فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء ؛ فكره القوم ورجوا أن يكون لأبى سفيان فضربوهما ضربًا موجعًا حتى اضطر الغلامان أن يقولا: نحن لأبى سفيان فتركوهما .

ولما فرغ رسول اللهﷺ قال لهم كالعاتب: «**إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله؛ إنهما لقريش**» ثم خاطب الغلامين قائلا: «**أخبراني عن قريش**» قالا: هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى فقال لهما: «**كم القوم؟**» قالا: كثير ، قال: «**ما عدتهم**» ؟" قالا: لا ندرى ، قال: «**كم ينحرون كل يوم**» ؟ "قالا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا ، فقال رسول اللهﷺ : «**القوم فيما بين التسعمائة إلى الألف**» ثم قال لهما: «**فمن فيهم من أشراف قريش**» ؟ قالا: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدى ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف فى رجال سمياهم ، فأقبل رسول اللهﷺ على الناس فقال: «**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**» [٢] .

مَشُورَةُ الحُبابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

خرج رسول اللهﷺ بجيشه ؛ ليسبق المشركين إلى ماء بدر ، فنزل أدنى ماء من ماء بدر فقام الحباب بن المنذر وقال:يا رسول اللهﷺ أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله الله ؛ ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قالﷺ : «**بل هو الرأى والحرب والمكيدة؟**» فقال: يا رسول اللهﷺ فإن هذا ليس بمنزل ؛ فانهض بالناس حتى نأتى

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٨ - ٩) .

(٢) الرحيق المختوم ١٩٤ - ١٩٥ .

أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور[١] ما وراء من القلب[٢] ثم نبنى عليه حوضًا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي» فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس فسار؛ حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضًا على القليب الذى عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية[٣].

بِنَاءُ العَرِيشِ:

واقترح سعد بن معاذ بناء عريش قائلا: يا نبى الله ألا نبني لك عريشًا تكون فيه؟ ونعدُّ عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن أشد لك حبًّا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه[٤].

نِعَمُ اللَّهِ عَلَى المُسْلِمِينَ قَبْلَ القِتَالِ:

قد أنعم الله على عباده المؤمنين ببعض النعم قبل أن يلتحموا مع أعدائهم قال تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[الأنفال: ١١].

فأنعم عليهم بالنعاس؛ ليقويهم على القتال ويزيل الرعب من قلوبهم كما أنعم عليهم بالمطر فى وقت لم يكن المعتاد فيه نزول المطر.

عن ابن عباس قال: إن المشركين من قريش لما خرجوا؛ لينصروا العير وليقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه؛ فأصاب المؤمنين الظمأ فجعلوا يصلون مجنبين محدثين حتى تعاطوا ذلك فى صدورهم فأنزل الله من السماء ماء؛ حتى سال الوادى فشرب المؤمنون وملأوا الأسقية، وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة، فجعل

---

(١) غور: خرب أو هدم.
(٢) القلب: الآبار.
(٣) ابن هشام (١ / ٣٨٠ - ٣٨١).
(٤) ابن هشام (١ / ٣٨١).

الله فى ذلك طهورًا وثبت به الأقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله المطر عليها فثبتت[١] .

مَوْقِفُ المشْرِكِينَ لَمَّا قَدِمُوا إِلَى بَدْرٍ:

لما وصل جيش مكة إلى بدر دب فيهم الخلاف وتزعزعت صفوفهم الداخلية ، فعن ابن عباس رضى الله عنه قال: لما نزل المسلمون وأقبل المشركون نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال: «**إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا**» وهو يقول: «**يا قوم أطيعونى فى هؤلاء القوم فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك فى قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه فاجعلوا حقها برأسى وارجعوا**»، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره[٢] حين رأى محمدًا وأصحابه ؛ إنما محمد وأصحابه أكلة جزور لو قد التقينا .

فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه ؛ أما والله إنى لأرى قومًا يضربونكم ضربًا أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعى ، وكأن وجههم السيوف ، ثم دعا أخاه وابنه فخرج يمشى بينهما ودعا بالمبارزة[٣] .

* * *

(١) ابن كثير ٢/ ٩٠ .

(٢) سحرك: رئتك ، يقال ذلك للجبان .

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٢ - ١٣) ، سيرة الرسول أبو عمار ٢٥٢ - ٢٥٣ .

obeikandl.com

ثَانِيًا: فِي قَلْبِ المعْرَكَةِ

خُطَّةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي المعْرَكَةِ:

ابتكر رسول الله ﷺ في قتاله مع المشركين يوم بدر أسلوباً جديداً في مقاتلة أعداء الله وهذا الأسلوب أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤].

قاتل ﷺ بنظام الصفوف، وهذا الأسلوب لم يكن معروفًا من قبل على أن تكون الصفوف الأولى من أصحاب الرماح لصد هجمات الفرسان، وتكون الصفوف التى خلفها من أصحاب النبال لتسديدها من المهاجمين على الأعداء.

أمر رسول الله ﷺ أصحابه برمى الأعداء إذا اقتربوا منهم؛ لأن الرمى يكون أقرب إلى الإصابة فى هذه الحالة: «**إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل**» كما أمرهم ﷺ بالاقتصاد فى الرمى: «**واستبقوا نبلكم**» ونهاهم ﷺ عن سل السيوف إلى أن تتداخل السيوف: «**ولا تسلوا السيوف؛ حتى يغشوكم**» كما حرص رسول الله ﷺ على الاستفاده من الظروف الطبيعية فى المعركة؛ حيث جعل الشمس خلفه واستقبل المغرب حتى لا تؤثر الشمس على رؤية الصحابة [١].

سَوادُ بنُ غزيةَ فِي الصُّفُوفِ:

وبينما رسول الله ﷺ يعدل الصفوف كان فى يده سهم يعدل به الصف فرأى رجلاً اسمه سواد بن غزية؛ وقد خرج من الصف فطعنه ﷺ فى بطنه وقال له: «**استو يا سواد**» فقال: يا رسول أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى، فكشف ﷺ عن بطنه وقال: «**استقد**» فاعتنقه فقبل بطنه فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله ﷺ حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله ﷺ بخير [٢].

تَحْرِيضُ المسْلِمِينَ عَلَى القِتَالِ:

كان ﷺ يربى أصحابه على أن يكونوا أصحاب إرادات قوية فيملأ قلوبهم شجاعة

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٩ - ٢٠).

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ١٩ - ٢٠).

وجرأة وأملاً فى النصر على الأعداء، وكان يحثهم على القتال ويحرضهم عليه؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنفال: ٦٥] وفى غزوة بدر الكبرى قال ﷺ لأصحابه: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**» فقال عمير بن الحمام الأنصارى: يا رسول الله ﷺ جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بخ بخ فقال ﷺ: «**ما يحملك على قولك: بخ بخ**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه [1] فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه، إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم؛ حتى قتل.

كما كان ﷺ يبشر أصحابه بقتل صناديد المشركين قائلا: «**هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله**» وكان ﷺ يبشرهم بالنصر قبل بدء القتال قائلاً: «**والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**» [2].

دُعَاءُ الرَّسُولِ ﷺ وَاسْتِغَاثَتُهُ:

لما نظم الرسول ﷺ جيشه وأصدر أوامره لهم وحرضهم على القتال رجع إلى العريش الذى بنى له ومعه صاحبه أبو بكر رضى الله عنه، وسعد بن معاذ على باب العريش لحراسته وهو شاهر سيفه اتجه الرسول ﷺ إلى ربه يناشده النصر قائلا فى دعائه: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ**» فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الأنفال: ٩].

وروى ابن إسحاق أنه ﷺ قال[3]: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك**

---

(١) قرنه: جعبة النشاب.

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢ - ٢٤).

(٣) المصدر نفسه (٢ / ٢٤).

وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتني».

جَيْشُ المسْلِمِينَ وَالشَّرَارَةُ الأُولَى لِلْمَعْرَكَةِ:

أما المشركون فقد استفتح أبو جهل فى ذلك اليوم فقال:"اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة، اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم وفى ذلك أنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال: ١٩].

وكان أول من أشعل نار المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومى كان رجلاً شرسًا سيئ الخلق، خرج قائلا: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فلما خرج إليه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فلما التقيا ضربه حمزة فأطن[1] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب[2] رجله دمًا نحو أصحابه ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر يمينه وأتبعه حمزه فضربه؛ حتى قتله فى الحوض[3].

التِقَاءُ الفَرِيقَيْنِ:

وبعد ذلك خرج ثلاثة من خيرة فرسان قريش كانوا من عائلة واحدة وهم عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة فلما انفصلوا من الصف دعوا إلى المبارزة فخرج إليهم ثلاثة من شبان الأنصار عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قالوا: أكفاء كرام ما لنا بكم حاجة؛ وإنما نريد بنى عمنا ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا.. أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا على**» فلما قدموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم: فأخبروهم فقالوا: أنتم أكفاء كرام، فبارزه عبيدة وكان أسن القوم عتبة ابن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز على الوليد، فأما حمزة وعلى فلم يمهلا قرينهما أن قتلاهما وأما عبيدة فاختلف بينه وبين قرنه ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم كر على وحمزة على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة، وقد قطعت رجله فلم يزل مريضًا؛

---

(١) فأطن: أطار.

(٢) تشخب: تسيل بصوت.

(٣) الرحيق المختوم ١٩٩ - ٢٠٠.

حتى مات بالصفراء بعد أربعة أو خمسة أيام من وقعة بدر حينما كان المسلمون فى طريقهم إلى المدينة، وقد قال عنه ﷺ : «**أشهد إنك شهيد**» وفى هؤلاء الستة نزل قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٤].

فاستشاط غضب المشركين وكروا على المسلمين كرة رجل واحد، أما المسلمون فبعد أن استنصروا ربهم واستغاثوه تلقوا هجمات المشركين المتتالية وهم مرابطون فى موقعهم واقفون موقف الدفاع، وقد ألحقوا بالمشركين خسائر فادحة وهم يقولون: أحد أحد، وكانت وقعة بدر صبيحة يوم الجمعة سبع عشرة من شهر رمضان[١].

نُزُولُ المَلَائِكَة:

ثبت من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومرويات عدد من الصحابة البدريين شهود الملائكة موقعة بدر قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٦].

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما- إن النبى ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**»[٢] وفى رواية ابن إسحاق قال رسول الله ﷺ : «**أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النقع**»[٣].

---

(١) ابن هشام (١ / ٣٨٥ - ٣٨٦).
(٢) البخاري ٣٩٩٥.
(٣) النقع: الغبار، رواه ابن هشام وسنده حسن.

وعن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال: جاء رجل من الأنصار قصير بالعباس ابن عبد المطلب أسيرًا فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى ؛ لقد أسرنى رجل أجلح[١] من أحسن وجهًا على فرس أبلق[٢] ما أراه فى القوم فقال الأنصارى: أنا أسرته يا رسول الله فقال ﷺ : «**اسكت فقد أيدك الله بملَكٍ كريم**» [٣] وعن أبى داود المازنى قال: إنى لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى فعرفت أنه قتله غيرى[٤] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم[٥] فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو خطم أنفه[٦] ، وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ : صدقت ذلك مدد السماء الثالثة[٧] .

وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى:

ثم خرج رسول الله ﷺ من باب العريش وهو يثب فى الدرع ويقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر: ٤٥] ثم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشًا وقال: «**شاهت الوجوه**» ورمى بها فى وجوههم فما من أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين ، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم فى رمية الرسول ﷺ وفى ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنفال: ١٧] [٨] .

---

(١) أجلح: الذي انحسر شعره على جانبي رأسه .
(٢) أبلق: الذي ارتفع التحجيل إلى فخذيه .
(٣) رواه أبو داود وإسناده صحيح .
(٤) أخرجه ابن هشام وغيره في المسند .
(٥) حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك .
(٦) خطم أنفه: الأثر على الأنف .
(٧) أخرجه مسلم ، السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٩ - ٣١) ، سيرة الرسول أبو عمار ٢٦١ - ٢٦٣ .
(٨) ابن كثير (٢ / ٩٣ - ٩٤) .

انْسِحَابُ إبْلِيسَ مِنْ مَيْدَانِ المعْرَكَةِ:

لما رأى إبليس ما يفعل الملائكة بالمشركين فرَّ ونكص على عقبيه[١] وتشبث به الحارث بن هشام وهو يظنه سراقة بن مالك، فوكز فى صدر الحارث فألقاه، ثم خرج هاربًا، وقال له المشركون: إلى أين يا سراقة؟ ألم تكن قلت: إنك جار لنا لا تفارقنا؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨] ثم فر حتى ألقى نفسه فى البحر[٢].

نَهْيُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ عَنْ قَتْلِ بَعْضِ المشْرِكِينَ:

نهى رسول الله ﷺ أصحابه عن قتل رجال من بنى هاشم قد أخرجوا كرهًا، كما نهى عن قتل العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ؛ لأنه أخرج مستكرهًا، ونهى عن قتل أبى البخترى بن هاشم؛ لأنه كان ألف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان يؤذيه وكان ممن قام بنقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم وبنى عبد المطلب[٣].

* * *

(١) نكص على عقبيه: رجع كما كان قد اعتزمه.
(٢) الرحيق المختوم ٢٠٢.
(٣) ابن هشام (١ / ٣٨٩ - ٣٩٠).

obeikandl.com

مَشَاهِدُ مِنَ المعْرَكَةِ

أَوَّلاً: مَصَارِعُ الطُّغَاةِ:

مَصْرِعُ أَبِي جَهْلٍ:

قال عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه: إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفتُّ، فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن بمكانهما؛ إذ قال لى أحدهما سرًا من صاحبه: يا عم أرنى أبا جهل، فقلت: يا بن أخى فما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ قال: والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده؛ حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك قال: وغمزنى الآخر فقال لى مثلها فلم أنشب[1] أن نظرت الى أبى جهل يجول فى الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه، قال: فابتدراه فضرباه؛ حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺفقال: «**أيكما قتله؟**» فقال: كل واحد منهما: أنا قتلته قال: «**هل مسحتما سيفيكما**» فقالا: لا، فنظر رسول الله ﷺإلى السيفين فقال: «**كلاكما قتله**» وقضى رسول الله ﷺبسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء.

وقال ابن إسحاق: قال معاذ بن عمرو بن الجموح: سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحَرَجة أي: الشجر الملتف؛ نظرًا لإحاطة المشركين بسيوفهم ورماحهم حوله لحفظه؛ وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته من شأنى فصمدت[2] نحوه فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه[3] بنصف ساقه؛ فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح[4] من تحت مرضخة[5] النوى حين يضرب بها، قال: وضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جنبى وأجهضنى القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومى وإنى لأسحبها خلفى؛ فلما آذتنى وضعت عليها قدمى، ثم تمطيت بها عليها؛ حتى طرحتها، ثم مر بأبى جهل - وهو عقير- معوذ بن

---

(١) أنشب: ألبث.
(٢) صمدت نحوه: قصدت.
(٣) أطنت قدمه: أطارتها.
(٤) تطيح: تذهب.
(٥) مرضخة: الحجر يكسر به النوى.

عفراء فضربه ؛ حتى أثبته فتركه وبه رمق وقاتل معوذ حتى قتل .

ولما انتهت المعركة قال رسول الله ﷺ : «**من ينظر ما صنع أبو جهل**» فتفرق الناس فى طلبه فوجده عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه- وبه آخر رمق فوضع رجله على عنقه وأخذ لحيته ؛ ليحتز رأسه ، وقال: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزانى؟ أأعمد من رجل قتلتموه؟ أو هل ففوق رجل قتلتموه[١]؟ وقال: فلو غير أكار[٢] قتلنى ثم قال: أخبرنى لمن الدائرة اليوم؟ قال: لله ورسوله .

ثم قال لابن مسعود: لقد ارتقيت مرتقى صعبًا يا رُويعِيَّ الغنم! وكان ابن مسعود من رعاة الغنم فى مكة ، وبعد أن دار بينهما هذا الكلام احتز ابن مسعود رأسه وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل فقال: «**الله الذى لا إله إلا هو؟**» فرددها ثلاثا ثم قال: «**الله أكبر.. الحمد لله الذى صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، انطلق أرنيه**» فانطلقنا فأريته إياه فقال: «**هذا فرعون هذه الأمة**»[٣] .

مَصْرَعُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَف :

قال عبد الرحمن بن عوف: لما كان يوم بدر مررت بأمية بن خلف ومعه ابنه علي وهو آخذ بيده ، ومعى أدراع لى قد استلبتها ، فأنا أحملها ، فلما رآنى قال: يا عبد عمرو- عبد عمرو اسم عبد الرحمن بن عوف قبل الإسلام- فلما أسلم سمِّيَ: عبد الرحمن ، وكان أمية بن خلف يرفض أن يناديه بعبد الرحمن قائلاً: أنا لا أعرف الرحمن ، فاتفقا على أن يناديه بعبد الإله - فلم أجبه ، فقال: يا عبد الإله فقلت: نعم ، قال: هل لك فىَّ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك؟ قلت: نعم ها الله؟ قال: فطرحت الأدراع من يدى ، وأخذت بيده ويد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجة فى اللبن[٤] ؟ قال: ثم خرجت أمشى بهما .

قال عبد الرحمن بن عوف: قال لى أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: يا عبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره؟ قلت:

---

(١) أي: ليس عليَّ عار فلن أبعد أن أكون رجلا قتله قومه .

(٢) الأكار: الجرات .

(٣) الرحيق المختوم ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٤) أي: أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن .

ذاك حمزة بن عبد المطلب قال:ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن بن عوف: فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلال معى ، وكان أمية هو الذى يعذب بلالاً بمكة ، فقال بلال: رأس الكفر أمية ابن خلف لا نجوت إن نجا ، قلت: أى بلال أسيرى ، قال: لا نجوت إن نجا ، قلت: أتسمع يا بن السوداء ، قال: لا نجوت إن نجا ، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا ، قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة[١] وأنا أذب عنه قال: فأخلف[٢] رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط فقلت: انج بنفسك ، ولا نجاء بك ، فوالله ما أغنى عنك شيئًا قال: فهبروهما[٣] بأسيافهم ؛ حتى فرغوا منها فكان عبد الرحمن ، يقول: يرحم الله بلالاً ذهبت أدراعى وفجعنى بأسيرى[٤] .

ثانيًا : مِنْ مَشَاهِدِ العَظَمَةِ وَالإِيمَانِ فِي المَعْرَكَةِ :

اسْتِشْهَادُ حَارِثَةَ بنِ سُرَاقَةَ :

عن أنس رضى الله عنه قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبى ﷺ، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ قَالَ[٥]:«**يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**».

اسْتِشْهَادُ عَوْف بنِ الحَارِث:

قال ابن إسحاق حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة: أن عوف بن الحارث ؛ وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «**غمسه يده فى العدو حاسرًا**» فنزع درعًا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم ؛ حتى قتل ، وهذا يدل على

---

(١) المسكة: حلقة كالأسوار .

(٢) أخلف سيفه: سله في غمده .

(٣) هبروهما: قطعوهما .

(٤) الرحيق المختوم ٢٠٤ - ٢٠٥ ، السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣٧ - ٣٨) .

(٥) البخاري ٢٨٠٩ ، السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤٠ - ٤٢) .

حرص الصحابة على رضوان الله عز وجل[١].

اسْتِشْهَادُ سَعْد بنِ خَيْثَمَةَ ثُمَّ أَبِيهِ:

قال الحافظ بن حجر: قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: استهم يوم بدر سعد بن خيثمة وأبوه، فخرج سهم سعد فقال له أبوه: يا بنى آثرنى اليوم، فقال سعد: يا أبت لو كان غير الجنة فعلت، فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وقتل أبوه خيثمة يوم أحد[٢].

اسْتِشْهَادُ عُمَيْر بنِ أَبِي وَقَّاص:

لما سار رسول اللهﷺ إلى بدر وعرض عليه جيش بدر ردَّ عمير بن أبى وقاص فبكى عمير، فأجازه فعقد عليه حمائل سيفه، ولقد كان عمير يتوارى؛ حتى لا يراه رسول اللهﷺ فقال سعد: رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسول اللهﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخى؟ قال: إنى أخاف أن يرانى رسول اللهﷺ فيستصغرنى ويردنى، وأنا أحب الخروج؛ لعل الله يرزقنى الشهادة، وقد استشهد بالفعل[٣].

قَتْلُ عُمَر بنِ الخَطَّابِ خَالَهُ العَاصَ بنَ هِشَام:

قتل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- يومئذ خاله العاص بن هشام بن المغيرة؛ ولم يلتفت إلى قرابته منه ولكن حين رجع إلى المدينة قال للعباس عم الرسولﷺ وهو فى الأسر: يا عباس أسلم؛ فوالله أن تسلم أحب إلىَّ من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول اللهﷺ يعجبه إسلامك، وهذا يدل على تضحية الصحابة من أجل الإسلام كما يدل على مدى حبهم لرسول اللهﷺ[٤].

* * *

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤٠ - ٤٢).
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤٠ - ٤٢).
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤٠ - ٤٢).
(٤) الرحيق المختوم ٢٠٥ - ٢٠٦.

ثَالِثًا: مَا بَعْدَ المعْرَكَةِ

طَرْحُ قَتْلَى المشْرِكِينَ فِي القَلِيبِ[١] :

لما انقضت الحرب أقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على قتلى المشركين فَقَالَ: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا» فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُون وَأَنَّى يُجِيبُون وَقَدْ جَيَّفُوا قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ» [٢] .

مَكَّةُ تَتَلَقَّى أَنْبَاءَ الهَزِيمَةِ :

فر المشركون من ساحة بدر فى صورة غير منظمة ، واتجهوا صوب مكة مذعورين ؛ وكان أول من قدم بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعى فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف فى رجال من الزعماء سماهم ؛ فلما أخذ يعد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد فى الحجر: والله إن يعقل هذا فاسألوه عنى ، قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: ها هو ذا جالس فى الحجر وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلامًا للعباس وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس ، وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان العباس يكتم إسلامه ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر فلما جاءه الخبر كبته الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزًّا وكنت رجلاً ضعيفًا ، أعمل الأقداح أنحتها فى حجرة زمزم ؛ فوالله إنى لجالس فيها أنحت أقداحى وعندى أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة [٣] فكان ظهره إلى ظهرى ، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم ، فقال له أبو لهب: هلم إلىَّ ، فعندك لعمرى الخبر ، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه فقال: يا بن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال: ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا

---

(١) القليب: البئر لم تطو .

(٢) مسلم ٢٨٧٥ ، ابن هشام (١ / ٣٩٦ - ٣٩٧) .

(٣) طنب الحجرة: طرفها .

يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا؟ وايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجال بيض على خيل بُلق بين السماء والأرض والله ما تليق [١] شيئًا، ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة، فثاورته فاحتملنى فضرب بى الأرض، ثم برك عليَّ يضربنى، وكنت رجلاً ضعيفًا، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فلعت[٢] فى رأسه شجة منكرة وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده، فقام موليًا ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليال؛ حتى رماه الله بالعدسة (وهى قرحة تتشاءم بها العرب) فقتلته فتركه بنوه، وبقى ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له، ثم دفعوه بعود فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه، هكذا تلقت مكة أنباء الهزيمة الساحقة فى ميدان بدر، وقد أثر ذلك فيهم أثرًا سيئًا جدًّا؛ حتى منعوا النياحة على القتلى؛ لئلا يشمت بهم المسلمون[٣].

المدِينَةُ تَتَلَقَّى أَنْبَاءَ النَّصْرِ:

لما تم الفتح للمسلمين أرسل رسول الله ﷺ بشيرين إلى أهل المدينة ليعجل لهم البشرى أرسل عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية وأرسل زيد بن حارثة بشيرًا إلى أهل السافلة.

وكان اليهود والمنافقون قد أشاعوا فى المدينة إشاعة كاذبة عن مقتل النبى ﷺ؛ حتى أن أحد المنافقين لما رأى زيد بن حارثة راكبًا القصواء ناقة الرسول ﷺ قال: لقد قتل محمد وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد لا يدرى ما يقول من الرعب وجاء فلاً [٤] فلما بلغ الرسولان أحاط بهما المسلمون وأخذوا يسمعون منهما الخبر؛ حتى تأكد لديهم فتح المسلمين فعمت البهجة والسرور واهتزت أرجاء المدينة تهليلاً وتكبيرًا وتقدم رءوس المسلمين الذين كانوا بالمدينة إلى طريق بدر؛ ليهنئوا رسول الله ﷺ بهذا الفتح المبين، قال

---

(١) تليق: أي لا تبقي شيئا.
(٢) فلعت: شقت.
(٣) الرحيق المختوم ٢٠٧ - ٢٠٨.
(٤) فلاً: منهزمًا.

أسامة بن زيد: أتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ التى كانت عند عثمان بن عفان كان رسول الله ﷺ خلفنى عليها مع عثمان[١].

الأَنْفَالُ:

أقام رسول الله ﷺ ببدر بعد انتهاء المعركة ثلاثة أيام، وقبل رحيله من مكان المعركة وقع خلاف بين الجيش حول الغنائم، ولما اشتد الخلاف أمر رسول الله ﷺ بأن يرد الجميع ما بأيديهم ففعلوا ثم نزل الوحى بحل هذه المشكلة[٢].

عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبى ﷺ فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله العدو فانطلقت طائفة فى آثارهم يطاردون ويقتلون وأكبت طائفة على طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة؛ حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب.

وقال الذين خرجوا فى طلب العدو: لستم بأحق بها منا.. وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا؛ نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١] فقسمها رسول الله ﷺ على وفاق بين المسلمين[٣].

الأَسْرَى:

لما بلغ برسول الله ﷺ المدينة استشار أصحابه فى الأسرى، فعن ابن عباس - رضى الله عنهما- قال: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الاسَارَى**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ**» قُلْتُ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِي مِنْ فُلانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ

(١) الرحيق المختوم ص ٢٠٨.
(٢) الرحيق المختوم ص ٢١٠.
(٣) سيرة الرسول أبو عمار ٢٧٨ - ٢٧٩.

فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ**» وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩] [(١)] وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون؛ فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم فإذا حذقوا فهو فداء[(٢)].

الوَصِيَّةُ بِإِكْرَامِ الأَسْرَى:

ولما رجع ﷺ إلى المدينة فرق الأسرى بين أصحابه وقال لهم: «**استوصوا بهم خيرا**» وبهذه التوصية النبوية الكريمة ظهر تحقيق قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان: ٨] قال أبو العاص بن الربيع: كنت في رهط من الأنصار - جزاهم الله خيرًا- كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثرونى بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل والتمر زادهم؛ حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليَّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد وكانوا يحملوننا ويمشون[(٣)].

فِدَاءُ العَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ:

بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا وقال العباس: يا رسول الله ﷺ، قد كنت مسلمًا، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا، فافتد نفسك وابنى أخويك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن**

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤٧ - ٤٨).

(٢) الرحيق المختوم ٢١٠ - ٢١١.

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٥١).

عمرو أخى بن الحارث بن فهر».

قال: ما ذاك عندى يا رسول الله قال: «فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبت فى سفرى هذا فهذا المال الذى دفنته لبنى الفضل وعبد الله وقثم»، قال: والله يا رسول الله إنى لأعلم أنك رسول اللهﷺ، إن هذا الشيء ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل؛ فاحسب لى يا رسول الله ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان معى فقال رسول اللهﷺ: «ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك».

ففدى نفسه وابنى أخويه وحليفه فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [الأنفال: ٧٠ - ٧١] قال العباس: فأعطانى الله مكان العشرين أوقية فى الإسلام عشرين عبدًا كلهم فى يده مال؛ يضرب به ما أرجو من مغفرة الله [١].

فِدَاءُ أَبِي العَاصِ بنِ الرَّبِيعِ:

قالت عائشة رضى الله عنها: لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول اللهﷺ فى فداء أبى العاص بن الربيع بمال، وبعثت به بقلادة لها كانت لخديجة - رضى الله عنها- أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول اللهﷺ رقَّ لها رقة شديدة وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا» فقالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذى لها، وكان رسول اللهﷺ أخذ عليه أو وعده أن يخلى سبيل زينب إليه وبعث رسول اللهﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: «كونا ببطن ياجج [٢] حتى تمر بكما زينب فتصحباها؛ حتى تأتيا بها» [٣].

* * *

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٥٢).
(٢) اسم مكان على ثمانية أميال من مكة.
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٥٣).

رَابِعًا: النَّتَائِجُ وَالدُّرُوسُ المُسْتَفَادَةُ مِنَ المَعْرَكَةِ

أَوَّلًا: نَتَائِجُ المَعْرَكَةِ انْتِصَارُ المُسْلِمِينَ:

انتهت معركة بدر بانتصار المسلمين على المشركين، وكان قتلى المشركين سبعين رجلاً، وأسر منهم سبعون أكثرهم من قادة قريش وزعمائها، بينما استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً؛ منهم ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار كما ترتب على هذا الانتصار أن قويت شوكة المسلمين وأصبحوا مرهوبين فى المدينة ومن حولها وتعززت مكانة الرسول ﷺ فى المدينة، وارتفع نجم الإسلام فيها ولم يعد المتشككون فى الدعوة الجديدة والمشركون فى المدينة يتجرءون على إظهار كفرهم وعداوتهم للإسلام؛ لذا ظهر النفاق فأعلن فريق منهم إسلامهم ظاهرًا أمام النبى ﷺ وأبقوا على الكفر باطنًا، وفيهم قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣].

كما ازدادت الثقة بالله - سبحانه وتعالى- وبرسوله الكريم ﷺ، ودخل عدد كبير من مشركى قريش فى الإسلام، وانتعش حال المسلمين المادى والاقتصادى بما أفاء الله عليهم من الغنائم[1].

خَسَارَةُ قُرَيْشٍ:

أما قريش فكانت خسارتها فادحة، فإضافة إلى أن مقتل أبى جهل بن هشام وأمية ابن خلف وعتبة بن ربيعة وغيرهم من زعماء الكفر الذين كانوا من أشد القريشين شجاعة وقوة وبأسًا، لم يكن خسارة حربية لقريش فحسب؛ فإنه كان خسارة معنوية أيضًا ذلك أن المدينة لم تعد تهدد تجارتها فقط بل أصبحت تهدد أيضًا سيادتها ونفوذها فى الحجاز كله[2].

نَقْضُ اليَهُودِ عَهْدَهُم:

أما اليهود فقد هالهم أن ينتصر المسلمون فى بدر، وأن تقوى شكوتهم فيها وأن يعز الإسلام ويظهر على دينهم ويكون لرسوله دونهم الحظوة والمكانة، فصمموا على نقض

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣١ - ٥٩).

(٢) المصدر السابق نفسه (٢ / ٦٠ - ٦١).

العهد الذى عاهدوا عليه النبى ﷺ، عندما قدم المدينة فأظهروا عداوتهم للإسلام والمسلمين وبدأوا يتحرشون بالنبى ﷺ والمسلمين، وعملوا على القضاء على الإسلام بكل الوسائل المتاحة لديهم وما كان النبى ﷺ ليخفى عليه شيء من ذلك، فقد كان يراقبهم عن حذر ويقظة؛ حتى استحقوا بالمقررات الخلقية والحرمات التى يعتز بها المسلمون واستعلنوا بالعداوة فلم يكن بدٌّ من حربهم وإجلائهم عن المدينة [١].

مُحَاوَلَةُ اغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِسْلَامُ عُمَيْرِ بنِ وَهْبٍ:

قال ابن إسحاق: عن عروة بن الزبير قال: جلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش فى الحجر بيسير، وكان عمير شيطانًا من الشياطين، وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير فى أسارى بدر؛ فذكر أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان: والله إن فى العيش بعدهم خيرًا.

قال له عمير: صدقت والله؛ أما والله لولا دين علىَّ ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لركبت إلى محمد؛ حتى أقتله فإن لى قبلهم علة؛ ابنى أسير فى أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان وقال: علىَّ دينك؛ أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شيء، ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم شأنى وشأنك، قال: أفعل، قال: ثم أمر عمير بسيفه فشحذ [٢] له وسُمَّ، ثم انطلق؛ حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوهم إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحًا السيف فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لِشَرٍّ وهو الذى حرش [٣] بيننا وحزرنا [٤] للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٦١ - ٦٢).
(٢) شحذ السيف: أحد أسنانه.
(٣) الحرش: أفسد وأغرى بعضهم ببعض.
(٤) الحزر: تقدير العدو تخمينًا.

جاء متوشحًا سيفه قال: «**فأدخله عليَّ**» قال: فأقبل عمر ؛ حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلببه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث ؛ فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ .

فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال: «**أرسله يا عمر ادنُ يا عمير**» فدنا ثم قال: انعموا صباحًا - كانت تحية أهل الجاهلية بينهم- فقال رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة .

فقال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد قال: «**فما جاء بك يا عمير؟**» قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه قال: «**فما بال السيف فى عنقك؟**» قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنَّا شيئًا؟ قال: «**اصدقنى ما الذى جئت له؟**» قال: ما جئت إلا لذلك قال: «**بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت: لولا دين على وعيال عندى لخرجت؛ حتى أقتل محمدًا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك**».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله ﷺ نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ : «**فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره**» ففعلوا .

ثم قال: يا رسول الله ﷺ إنى كنت جاهدًا على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله - عز وجل- وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة ؛ فأدعوهم إلى الله - تعالى- وإلى رسوله ﷺ وإلى الإسلام ؛ لعل الله يهديهم فأذن له رسول الله ﷺ [1] .

* * *

(١) ابن هشام (١ / ٤٠٨ - ٤١٠) .

ثَانِيًا: الدُّرُوسُ المسْتَفَادَةُ مِنَ المعْرَكَةِ

تنطوى غزوة بدر على العديد والعديد من العبر والعظات والدروس والمعجزات نذكر منها ما يلى:

١- يدلنا السبب الأول لغزوة بدر أن الدافع الأصلى لخروج المسلمين مع رسول الله ﷺ لم يكن القتال والحرب وإنما كان الدافع الاستيلاء على عير قريش القادمة من الشام تحت إشراف أبى سفيان، وعلى الرغم من مشروعية هذا القصد لأن عامة ممتلكات الحربيين تعتبر بالنسبة للمسلمين أموالاً غير محترمة؛ فلهم أن يستولوا عليها بالإضافة إلى أنها تعتبر تعويضًا للمهاجرين عن ممتلكاتهم التى بقيت فى مكة، واستولى عليها المشركون من ورائهم إلا أن الله أراد لعباده المؤمنين قصدًا أرفع من ذلك وأليق بوظيفتهم التى خلقوا من أجلها ألا وهى الدعوة إلى دين الله والجهاد فى سبيل ذلك والتضحية بالروح والمال فى سبيل إعلاء كلمة الله [(١)].

٢- التزام النبى ﷺ مبدأ التشاور مع أصحابه فى كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، وقد ظهر ذلك فى غزوة بدر فى التشاور فى أمر القتال والأسرى[(٢)].

رغبة الرسول ﷺ معرفة رأى الأنصار فى القتال؛ لأن المعاهدة التى بينه ﷺ وبينهم داخل المدينة وليس خارجها، فأراد رسول الله ﷺ أن يعرف رأيهم فى القتال؛ لأنه ليس من حقه أن يجبرهم على القتال معه والدفاع عنه إلا فى داخل المدينة كما تنص على ذلك المعاهدة ولدى التأمل فيما أجاب به سعد بن معاذ نعلم أن المبايعة التى ارتبط بها الأنصار مع رسول الله ﷺ فى مكة قبل الهجرة لم تكن إلا مبايعة مع الله تعالى، ولم يكونوا يتصورون وهم يلتزمون الدفاع عن رسول الله ﷺ حينما يهاجر إليهم إلا دفاعًا عن دين الله - تعالى- وشريعته، فليست القضية مسألة نصوص معينة اتفقوا مع الرسول عليها فهم لا يريدون أن يلتزموا بما وراءها، وإنما المسألة هى أنهم وقعوا تحت صك عظيم تضمن قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ

(١) فقه السيرة للبوطي (١٧٠ - ١٧٥) مختصرًا.
(٢)فقه السيرة للبوطي (١٧٠ - ١٧٥) مختصرًا.

ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١] (١).

٣- أهمية التضرع لله وشدة الاستعانة به فعلى الرغم من أن الرسول ﷺ كان يطمئن أصحابه بالنصر، وكان يثق فى وعد الله له بالنصر إلا أن النبى ﷺ أخذ يناشد ربه بالنصر الذى وعده؛ حتى سقط رداؤه وأشفق عليه أبو بكر قائلاً: كفى يا رسول الله؛ إن الله منجز لك ما وعد.

ذلك لأن الدعاء هو لب العبادة التى خلق من أجلها الإنسان وذلك هو ثمن النصر فى كل حال، فما النصر مهما توفرت الوسائل والأسباب إلا من عند الله وما كل أنواع المصائب والمحن المختلفة التى تهدد الإنسان فى هذه الحياة أو تنزل به إلا أسباب وعوامل تنبهه لعبوديته وتصرف آماله وفكره إلى عظمة الله - سبحانه وتعالى- وباهر قدرته؛ كى يفر إليه - سبحانه وتعالى- بالدعاء(٢).

٤- ظهر فى غزوة بدر مدى الولاء والتضحية من أجل الإسلام فترى الابن يلتقى بأبيه والأخ بأخيه:

١- كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة فى صف المسلمين، وكان أبو عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبة فى صف المشركين وقد قتلوا جميعًا فى المبارزة الأولى.

٢- كان أبو بكر الصديق فى صف المسلمين وابنه عبد الرحمن فى صف المشركين.

٣- كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير فى صف المشركين ثم وقع أسيرًا فى يد أحد الأنصار فقال مصعب للأنصار: شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخى هذه وصيتك بى؟ فقال مصعب: إنه أخى دونك، وهكذا نرى كيف كانت الإخوة فى الله أقوى من إخوة النسب والقرابة (٣).

٥- نزلت سورة الأنفال فى غزوة بدر لما اختلف المسلمون فى النفل وقد بينت السورة أن هذه الغنائم لله وللرسول ﷺ ثم أمر الله المؤمنين بثلاثة أوامر بالتقوى وإصلاح ذات البين والطاعة لله والرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ

---

(١) فقه السيرة للبوطي (١٧٠ - ١٧٥) مختصرًا.
(٢) فقه السيرة للبوطي (١٧٠ - ١٧٥) مختصرًا.
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٧٠ - ٧١) مختصرًا.

فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنفال: ١] .

وهـي أمور مهمة جدا فى موضوع الجهاد إذا لم ينشأ عن تقوى فليس جهادًا والجهاد يحتاج إلى وحدة صف ، ومن ثمَّ فلا بُدَّ من إصلاح ذات البين .

ثم بين الله - عز وجل- أن الطاعة لله ولرسوله ﷺ علامة الإيمان ، ثم بين الله - عز وجل- صفات المؤمنين ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] .

فلـم تذكـر الآيـات شيئًا من أعمال المؤمنين فى بدر ، ولكن ذكرت عتابًا أليمًا يحمل المؤمـنين علـى الرجوع إلى أنفسهم والاستحياء من ربهم ، وإنه لا يجب عليهم الاختلاف فـى الأنفـال ؛ ولكـن علـيهم التحلـى بصفات المؤمنين حقًا وهذا ما يجب أن يكون عليه المؤمنون فى كل وقت ؛ لإرضاء الله وتحقيق النصر[١] .

٦- وصية الرسول ﷺ بإكرام الأسرى دليل على سمو الإسلام فى المجال الأخلاقى ؛ حـيث نال أعداء الإسلام من معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق التى تتمثل فـى خلـق الإيـثار كمـا طلـب الرسـول ﷺ مـن عمـه العباس الفداء وأغلا ، وهنا يتعلم المسلمون درسًا فى عدم محاباة ذوى القربى[٢] .

٧- اشتملت غزوة بدر على العديد من المعجزات منها:

١- إمـداد الله المـسلمين بالملائكـة وهـى معجزة من أعظم معجزات النصر والتأييد والنصر للمسلمين الصادقين لتطمئن قلوبهم[٣] .

٢- إخباره ﷺ عن بعض المغيبات بوحى من الله منها:

أ- قتل أمية بن خلف:

فَعَـنْ عَـبْدِ اللَّـهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ[٤]: انْطَلَقَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُعْتَمِرًا قَالَ:

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤٣ - ٤٥) مختصرًا .
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٥١ - ٥٣) مختصرًا .
(٣) فقه السيرة للبوطي ص ١٧٥ .
(٤) رواه البخاري ٣٦٣٢ .

فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَبِي صَفْوَانَ وَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا انْطَلَقَ إِلَى الشَّأْمِ فَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ انْتَظِرْ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَغَفَلَ النَّاسُ انْطَلَقْتُ فَطُفْتُ فَبَيْنَا سَعْدٌ يَطُوفُ إِذَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا سَعْدٌ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ آمِنًا وَقَدْ آوَيْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ فَتَلاحَيَا بَيْنَهُمَا[1] فَقَالَ أُمَيَّةُ لِسَعْدٍ: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِي ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ لأَقْطَعَنَّ مَتْجَرَكَ بِالشَّامِ قَالَ: فَجَعَلَ أُمَيَّةُ يَقُولُ لِسَعْدٍ: لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ وَجَعَلَ يُمْسِكُهُ فَغَضِبَ سَعْدٌ فَقَالَ: دَعْنَا عَنْكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدًا ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ قَالَ: إِيَّايَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَالَ لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ؟ قَالَتْ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الصَّرِيخُ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَمَا ذَكَرْتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِيُّ قَالَ: فَأَرَادَ أَنْ لا يَخْرُجَ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ الْوَادِي فَسِرْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ فَسَارَ مَعَهُمْ فَقَتَلَهُ اللَّهُ.

ب- مصارع الطغاة حدد رسول ﷺ مصارع الطغاة في بدر، قال عمر: فوالذي بعثك بالحق ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ.

ج- إخبار العباس ابن عبد المطلب بالمال الذى دفنه، وإعلام عمير بن وهب بالحديث الذى حدث بينه وبين صفوان.

٨- ومن المعجزات ما ذكره ابن القيم فى زاد المعاد أن سيف عكَّاشة بن محصن انقطع يومئذ، فأعطاه النبى ﷺ جذلاً من حطب فقال: «دونك هذا» فلما أخذه عُكَّاشة، وهزَّه عاد فى يده سيفًا طويلاً شديدًا أبيض؛ فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل فى الردة أيام أبى بكر.

٩- قال رفاعة بن رافع: رُميتُ بسهم يوم بدر، ففقئت عينى فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لى فما آذانى منها شيء[2].

* * *

(١) تلاحيا: تلاوما وتنازعا.

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٧٢ - ٧٥).

أَهَمُّ الأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ غَزْوَتَي بَدْرٍ وَأُحُدٍ

أَوَّلاً: النَّشَاطُ العَسْكَرِيُّ:

١- غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ بِالكُدْرِ:

غزا النبى ﷺ بعد سبع ليال من عودته إلى المدينة من غزوة بدر، وبلغ ماء الكدر فى ديار بنى سليم الذى قصدهم بغزوته هذه، وكان سبب تلك الغزوة تجمع أفراد بنى سليم؛ لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم بعد معركة بدر مباشرة، ولكن رسول الله ﷺ فاجأهم بهجوم سريع غير متوقع، فهرب بنو سليم وتفرقوا على رؤوس الجبال وبقيت إبلهم مع راع لها يدعى يسارًا؛ فاستاق رسول الله ﷺ الإبل راعيها، وعند موضع صرار على بُعد ثلاثة أميال من المدينة قسم النبى ﷺ الإبل التى كان عددها خمسمائة بعير على أصحابه فأصاب الواحد منهم بعيرين، ونال النبى ﷺ خمسها وكان يسار من نصيبه، ولكنه أعتقه بعد ذلك[١] وأقام النبى ﷺ فى ديارهم ثلاثة أيام، ثم رجع إلى المدينة[٢].

٢- غَزْوَةُ السَّوِيْقِ:

كان أبو سفيان قد نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة؛ حتى يغزو محمدًا ﷺ، فخرج فى مائتى راكب من قريش؛ ليبر يمينه، فسلك النجدية؛ حتى أتى بنى النضير تحت الليل فأتى حُيى بن أخطب، فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له بابه وخافه فانصرف عنه إلى سَلاَّم بن مِشْكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه[٣] وبطن له[٤] من خبر الناس ثم خرج فى عقب ليلته؛ حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية منها يقال لها: العريض فحرقوا فى الأصوار[٥] من نخل بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفًا له فى حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين[٦].

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٧٩).
(٢) الرحيق المختوم ٢١٣ - ٢١٤.
(٣) قراه: صنع له طعام الضيف.
(٤) بطن له: أي أعلمه من سرهم.
(٥) الأصوار: جماعة النخل الصغار.
(٦) ابن هشام (١ / ٤١١ - ٤١٢).

فتعقبه رسول الله ﷺ فى مائتى رجل من المهاجرين والأنصار ، ولكنه لم يتمكن من إدراكهم ؛ لأن أبا سفيان ورجاله قد جدّوا فى الهرب ، وجعلوا يتخففون من أثقالهم ويلقون السويق[١] التى كانوا يحملونها لغدائهم ، وكان المسلمون يمرون بهذه الجرب فيأخذونها ؛ حتى رجعوا بسويق كثيرة ؛ لذا سميت هذه الغزوة بغزوة: السويق ، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمسة أيام دون أن يلقى حربًا [٢] .

٣- غَزْوَةُ ذِي أمر :

هى أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ قبل معركة أحد وقادها فى المحرم سنة ٣ هـ ، وسببها أن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله ﷺ أن جمعًا كبيرًا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة على أطراف المدينة فندب رسول الله ﷺ ، وخرج فى أربعمائة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

وفى أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له: جبار من بنى ثعلبة ، فأدخل على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فضمه إلى بلال وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو ، وتفرق الأعداء فى رؤوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة ، أما النبى ﷺ فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم وهو الماء المسمى:"بذى أمر" فأقام هناك صفرًا كله - من سنة ٣هـ أو قريبًا من ذلك ؛ ليبشر الأعراب بقوة المسلمين ، ويستولى عليهم الرعب والرهبة ثم رجع إلى المدينة [٣] .

٤- غَزْوَةُ بحْرَان :

أقام رسول الله ﷺ ربيعًا الأول ثم خرج يريد قريشًا واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، فبلغ بحران معدنًا بالحجاز من ناحية الفرع ، ولم يلق حربًا فأقام هنالك ربيعًا الآخر وجمادى الأولى ثم انصرف إلى المدينة[٤] .

سَرِيَّةُ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ إِلَى القردة :

بعد هزيمة قريش فى بدر أخذوا يبحثون عن طريق آخر لتجارتهم للشام ، فأشار

---

(١) السويق: هو أن تحمص الحنطة أو الشعير ثم تطحن وتمزج باللبن أو العسل أو السمن .
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٧٩ - ٨٠) .
(٣) الرحيق المختوم ٢١٩
(٤) سيرة الرسول أبو عمار ٢٩٣ .

بعضهم إلى طريق نجد العراق فسلكوا طريق العراق بالفعل، وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويط بن عبد العزى، ومعهم فضة وبضائع كثيرة بما قيمته مائة ألف درهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ بواسطة أحد أفراد جهاز الأمن الإسلامى يدعى: سليط بن النعمان رضى الله عنه فبعث زيد بن حارثة فى مائة راكب؛ لاعتراض القافلة فلقيها زيد عند ماء يقال له: القردة ماء من مياه نجد، ففر رجالها مذعورين، وأصاب المسلمون العير وما عليها وأسروا دليلها فرات بن حيان الذى أسلم بين يدى النبى ﷺ وعادوا إلى المدينة، وأخذ رسول الله ﷺ خمسها، ووزع الباقى بين أفراد السرية[1].

٥- غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاع:

لَمَّا علم يهود بنى قينقاع بانتصار المسلمين فى غزوة بدر أظهروا الغضب والحسد، ولم يلتزموا بالمعاهدة التى أبرمها الرسول ﷺ معهم، فجمعهم رسول الله ﷺ بسوق بنى قينقاع ثم قال: «**يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم**» قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت عنهم فرصة، وإنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس فأنزل الله فيهم: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢ - ١٣].

سَبَبُ الغَزْوَة:

قال ابن هشام عن أبى عون قال: إن امرأة من العرب قدمت بجلب[2] لها فباعته، بسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٨٢).

(٢) الجلب: كل ما يجلب من الإبل والغنم والمتاع.

الشر بينهم وبين بنى قينقاع[١] .

حِصَارُ الرَّسُولِ ﷺ لَهُم :

وحين علم الرسول ﷺ بذلك سار إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار وحمل لواء المسلمين يومئذ حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه- واستخلف ﷺ على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر العمرى ، وحين علم اليهود بمقدمه ﷺ تحصنوا فى حصونهم فحاصرهم النبى ﷺ خمس عشرة ليلة ، واستمر الحصار ؛ حتى قذف الله فى قلوبهم الرعب ، واضطروا للنزول على حكمه ﷺ فأمر بهم فربطوا[٢] .

مَوْقِفُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولٍ :

فقام إليه عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول فقال: يا محمد أحسن فى موالى وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فكرر ابن أبى مقالته ؛ فأعرض عنه فأدخل يده فى جيب درعه ، فقال له رسول الله ﷺ : «**أرسلنى**» وغضب رسول الله ؛ حتى رأوا لوجهه ظللاً[٣] ثم قال: «**ويحك أرسلنى**» قال: لا والله لا أرسلك ؛ حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر[٤] وثلاثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة ؛ إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ؛ فقال رسول الله ﷺ : «**هم لك**».

تَبَرُّؤُ ابنِ الصَّامِتِ مِنْ حِلْفِهِمْ :

لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ مشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان أحد بنى عوف لهم من حلفهم مثل الذى لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله - عز وجل- وإلى رسوله ﷺ من حلفهم ، وقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم فأنزل الله - عز وجل- فيه وفى عبد الله بن أبي: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ

---

(١) ابن هشام (١ / ٤١٣ - ٤١٤) .

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٨٣ - ٨٤) .

(٣) ظللا: جمع ظلة وهي السحابة ، استعارة لتغير الوجه عند الغضب .

(٤) الحاسر: الذي لا درع له ولا خوذة .

نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٦] (١).

مَقْتَلُ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ:

كان كعب بن الأشراف من أشد اليهود حنقًا على الإسلام والمسلمين وإيذاءً لرسول الله ﷺ، وكان من قبيلة طيء من بني نبهان وأمه من بني النضير، وكان غنيًّا مترفًا معروفًا بجماله في العرب شاعرًا من شعرائها، ولما بلغه أول خبر عن انتصار المسلمين وقتل صناديد قريش في بدر قال: أحق هذا هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

ولما تأكد لديه الخبر انبعث عدو الله يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليه ولم يرض بهذا القدر؛ حتى ركب إلى قريش فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي وجعل ينشد الأشعار، يبكي فيها على أصحاب القليب من قتلى المشركين يثير بذلك حفائظهم ويذكي حقدهم على النبي ﷺ ويدعوهم إلى حربه.

وعندما كان بمكة سأله أبو سفيان والمشركون، أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه وأي الفريقين أهدى سبيلاً؟! فقال: أنتم أهدى منهم سبيلاً وأفضل، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء: ٥١] (٢).

إن ابن الأشراف بهجائه النبي وإظهاره مع أعداء المسلمين ورثاء قتلاهم وتحريضهم على قتل المسلمين يكون قد نقض العهد وصار محاربًا مهدور الدم؛ ولذلك أمر النبي ﷺ بقتله، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ (٣): «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؟! فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ

---

(١) ابن هشام (١ / ٤١٤ - ٤١٦).
(٢) الرحيق المختوم ص ٢٢٠.
(٣) (صحيح): البخاري ٤٠٣٧.

اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟! قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: «قُلْ»، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ؛ فَلا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ؛ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ: أُرَى فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ، فَقَالَ: نَعَمْ.. ارْهَنُونِي، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ، قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟! قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ؛ فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللأمَةَ، قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السِّلاحَ، فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلاً وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟! فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ ابْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا؛ كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لأَجَابَ، قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ[1]، قِيلَ لِسُفْيَانَ سَمَّاهُمْ عَمْرٌو قَالَ: سَمَّى بَعْضَهُمْ، قَالَ عَمْرٌو: جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ وَالْحَارِثُ ابْنُ أَوْسٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ، وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشِمُّكُمْ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا؛ وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ عَمْرٌو: فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟! قَالَ: نَعَمْ فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟! قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ[2].

ولما علمت اليهود بمصرع كعب بن الأشراف دب الرعب فى قلوبهم، وخافوا على أنفسهم فلم يحركوا ساكنًا لقتل طاغيتهم بل لزموا الهدوء وتظاهروا بإيفاء العهود واستكانوا[3].

* * *

(١) في كتب السيرة أن الذين قاموا بقتله خمسة نفر هم: محمد بن مسلمة أبو نائلة وهو سلكان بن سلامة وعباد ابن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر هؤلاء قدموا أبا نائلة؛ ليحدث كعب بن الأشراف.

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٩١ - ٩٢).

(٣) الرحيق المختوم ص ٢٢٢.

ثَانِيًا: المَنَاسِبَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ

زَوَاجُ النَّبِيِّ بِحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ:

عن ابن عمر - رضى الله عنه- أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حين تأيمت [١] حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمى، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى فى المدينة فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر فى أمرى فلبثت ليالى ثم لقينى فقال: قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر - رضى الله عنه- فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر فلم يرجع إليه شيئًا، فكنت عليه أوجد منى على عثمان، فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت علىَّ حين عرضت علىَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئًا قال عمر: قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت على إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[٢].

زَوَاجُ عَلِيٍّ بِفَاطِمَةَ رضى الله عنها:

قال ﷺ: «**إن الله أمرنى أن أزوج فاطمة من علىٍّ**» [٣]، عن علي بن أبى طالب - كرم الله وجهه- قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك فقلت: وعند شيء أتزوج به فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوَّجك قال: فوالله ما زلت ترجِّينى؛ حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة فقال رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك**»؟: «**ألك حاجة؟**» فسكتَّ، فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة**» فقلت: نعم، فقال: وهل: «**عندك من شيء تستحلها به؟**» فقالت: لا والله يا رسول الله فقال: «**ما فعلت درع سلحتكما؟ فوالله الذى نفسى على بيده إنها لحطيمة ما قيمتها أربعة دراهم**» فقلت: عندى، فقال: «**فابعث إليها بها فاستحلها بها**" "**قد زوجتكها**» فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول

---

(١) تأيمت: مات عنها زوجها.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٢٨٧.

(٣) قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ١٥٥.

الله ﷺ وقد جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل [١] وقربه ووسادة آدم [٢] حشوها إذخر [٣] [٤].

العِبَرُ وَالعِظَاتُ:

١- تدلنا غزوة بنى قينقاع على طبيعة اليهود من الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهود كما تدلنا على حقدهم الدفين على المسلمين والذى ظهر بانتصار المسلمين فى غزوة بدر [٥].

٢- يظهر فقه النبى السياسى فى تعامله مع ابن سلول حينما لبى طلبه ؛ فلعل هذا الموقف يغسل قلبه ويزيل الغشاوة عنه ، فتتم هدايته ، ولعل الذين يسيرون وراء زعامة ابن أبى يصلحون بصلاحه فيتماسك الصف ويلتحم فلا يتأثر من كيد أعداء الإسلام ، وهناك بعد آخر حيث حرص ﷺ أن يتفادى حدوث فتنة فى مجتمع المؤمنين ؛ حيث أن بعض الأنصار حديث عهد بالإسلام ويخشى أن يؤثر فيهم رأس المنافقين عبد الله بن أبى ؛ لسمعته الكبيرة فيهم ، ولذلك سلك ﷺ معه أسلوب المداراة والصبر عليه وعلى إساءاته تجنبًا للفتنة وإظهارًا لحقيقة الرجل من خلال تصرفاته ومواقفه عند من يجهلها ، ومن ثم يفر الناس من حوله ولايتعاطفون معه ، وقد حقق هذا الأسلوب نجاحًا باهرًا فقد ظهرت حقيقة ابن سلول لجميع الناس ؛ حتى أقرب الناس إليه ومنهم ولده عبد الله فكانوا إذا تكلم أسكتوه وتضايقوا من كلامه بل أرادوا قتله كما سيأتى بإذن الله [٦].

٣- إن فى مقتل ابن الأشرف دروسًا وعبرًا كثيرة:

جاء فى السيرة لابن هشام أن محمد بن مسلمة مكث ثلاثة أيام بعد أن استعد ؛ لقتل كعب بن الأشراف لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له: «**لم تركت الطعام والشراب؟**» فقال: يا رسول الله ﷺ قلت قولاً لا أدرى هل أفينَّ لك به أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ : «**إنما عليك الجهد**» فقال: لا بُدَّ لنا من أن

---

(١) خميل: القطيفة .
(٢) الأدم: الجلد .
(٣) الإذخر: حشيشة رطبة طيبة الرائحة .
(٤) سيرة الرسول أبو عمار ٢٨٧ - ٢٨٨ .
(٥) فقه السيرة للبوطي ١٧٩ - ١٨٠ ، مختصرًا .
(٦) السيرة النبوية للصلابي ٢/ ٨٥ .

نقول قال: «قولوا ما بدا لكم» نلاحظ هنا قيمة الكلمة عند الصحابة؛ حيث إن محمد بن مسلمة امتنع عن الطعام وأصابه الغم والحزن؛ لأنه قال قولاً يخشى أن لا يستطيع الوفاء به قول رسول الله ﷺ: «إنما عليك الجهد» توجيه نبوى كريم أن النصر لا يأتى إلاَّ بعد بذل الجهد والصبر عند الابتلاء قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

وعلى المسلم أن يفرغ كل ما فى وسعه من جهد فكرى وطاقة جسمية فى سبيل تحقيق ما وعده ثم يتوكل على الله بعد ذلك فى النتائج.

وفى قوله ﷺ: «قولوا ما بدا لكم» فقه عظيم يوضحه قوله ﷺ: «الحرب خدعة»[1].

٤- مهر فاطمة بنت النبى ﷺ:

إنها فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين، وعلى الرغم من ذلك كان مهرها (درع) عليّ الحُطمية، وأهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من آدم؛ حشوها ليف وقربة ومنخل وقدح ورحى وجرابات، ودخلت عليه وما لها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل، وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هى خادمة نفسها، قال ابن الجوزى: تالله ما ضرّها ذلك، أذهب الله عنها وعن بيتها الرجز وطهرها تطهيرًا[2].

* * *

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٩٢ - ٩٥) مختصرًا.
(٢) سيرة الرسول أبو عمار ٢٨٨ - ٢٨٩.